Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (5), Issue (13): 30 Oct 2021
P: 1 - 16

ISSN: 2522-3380

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (5)، العدد (13): 30 أكتوبر 2021م
ص: 1 - 16

The significance of the emphasis in the dialogue of the brothers of Yusuf: An analytical rhetorical study

Saadallah Saleh Matar Al-Zahrani

Ministry of Education || KSA

Abstract: This study aims to clarify the significance of the affirmation in the dialogue of the brothers of Joseph, peace be upon him, in the light of the science of semantics. Which makes the hypothesis that their constant feeling that they are under suspicion makes them confirm their words; so that its content would reach the hearts of their listeners, even if those listeners were not in denial of their words; This behavior made the emphasis in their dialogue the most prominent stylistic feature worthy of contemplation and study.

This study came in two sections: the first is the theoretical one; It dealt with the emphasis in the Arabic language, its reasons, and the characteristics of the dialogical text; To take from this a knowledge base to move towards the analysis and interpretation of the noble verses that included the dialogue of the Joseph brothers, in the second topic, which is the applied part of the study; Where I extrapolated the noble surah and extracted from it the places that included the dialogue of Joseph's brothers with their father mostly, and with the entourage of Al-Aziz sometimes, and with Al-Aziz at other times, and then with Joseph himself; target From that extrapolation, classification and analysis, arriving at the psychological significance of the use of emphasis in this intense manner in the dialogue of the brothers of Joseph, peace be upon him, and I interrogated the text itself first, then I used the sayings of the commentators in what I am about to analyze, and I found that they did not pay attention to what I meant; It is an indication of the emphasis on the emotional state of Yusuf's brothers, with the exception of three modern interpretations in which a passing reference was made to this aspect that I made the subject of my care, and these interpretations are: Tafsir al-Manar, Liberation and Enlightenment, in the shadows of the Qur'an.

Keywords: Emphasis on the news - dialogue text - Joseph's brothers - psychological significance of confirmation.

دلالة التوكيد في حوار إخوة يوسف: دراسة بلاغية تحليلية

سعد الله صالح مطر الزهراني

وزارة التعليم || المملكة العربية السعودية

المستخلص: هدفت هذه الدراسة إلى بيان دلالة التوكيد في حوار إخوة يوسف عليه السلام في ضوء علم المعاني، وتطمح إلى كشف خفايا صدور إخوة يوسف من خلال تكرارهم لاستخدام توكيد الخبر في كل كلامهم لِمَنْ يتردد في تصديق قولهم ولمن لا يتردد على السواء؛ مما يرجح فرضية أن إحساسهم الدائم بأنهم موضع شبهة يجعلهم يؤكدون كلامهم؛ ليتمكّن مضمونه من نفوس مستمعيهم حتى ولو لم يكن هؤلاء المستمعون منكرين لأقوالهم؛ وقد جعل هذا المسلك التوكيد في حوارهم هو السمة الأسلوبية الأبرز الجديرة بالتأمل والدراسة.

وجاءت هذه الدراسة في مبحثين: الأول منهما هو المبحث النظري؛ وقد عالجت فيه التوكيد في اللغة العربية، ودواعيه، وسمات النص الحواري؛ لأتخذ من ذلك قاعدة معرفية للانطلاق نحو تحليل وتفسير الآيات الكريمة التي تضمّنت حوار إخوة يوسف، وذلك في المبحث

الثاني وهو الجزء التطبيقي من الدراسة؛ حيث قمت باستقراء السورة الكريمة واستخلصت منها المواضع التي اشتملت على حوار إخوة يوسف مع أبيهم في الأغلب، ومع حاشية العزيز تارة، ومع العزيز تارة أخرى، ثم مع يوسف نفسه؛ مستهدفا من ذلك الاستقراء والتصنيف والتحليل الوصول إلى الدلالة النفسية لاستعمال التوكيد على هذا النحو المكثف في حوار إخوة يوسف عليه السلام، وقد استنطقت النص نفسه أولا، ثم استعنت بأقوال المفسرين فيما أنا بصدد تحليله، وقد تبينت أنهم لم يلتفتوا إلى ما اعتنيت به؛ وهو دلالة التوكيد على الحالة الوجدانية لإخوة يوسف، استثني من ذلك ثلاثة من التفاسير الحديثة التي وردت فيها إشارة عابرة إلى هذه الناحية التي جعلتها موضع عنايتي، وهذه التفاسير هي: تفسير المنار، التحرير والتنوير، في ظلال القرآن.

وقد اعتمدت على المنهج الاستقرائي؛ نظرا لكونه أنسب المناهج لطبيعة الدراسة. ومن أبرز ما توصلت إليه من نتائج أن أكثر أدوات التوكيد التي استعملها إخوة يوسف (إن) واللام، ولم يستعملوا من أساليب التوكيد إلا أسلوبا واحدا هو القسم، وقد استعملوه أربع مرات، وأن الحالة الوجدانية لإخوة يوسف كانت هي الباعث الأول لديهم لتوكيد كلامهم، وليس المقام ولا حالة المستمع، وأن التوكيد في حوار إخوة يختلف يوسف قوة وضعفا حسب شعورهم؛ فهم يكثفون التوكيد إذا كذبوا، ويكون متوسطا إذا استعطفوا، ويكون ضعيفا إذا اعتذروا. وأوصي أن يولي الباحثون مزيد عناية بالدلالة النفسية للنص القرآني بصورة عامة؛ فهذا اللون من الدراسة لم ينل من العناية ما يستحق رغم أهميته.

الكلمات المفتاحية: مؤكدات الخبر – النص الحواري – إخوة يوسف – الدلالة النفسية للتوكيد.

المقدمة.

الدلالات النفسية لأشكال التعبير مسألة لاقت عناية بعضٍ من أهل البلاغة قديمًا، وخاصة عبد القاهر الجرجاني الذي حاول بيان "الدور الذي تلعبه النفس في تشكيل العبارة.[1]" مما يعني أن " الكلمات تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها في النفس.[2]"

وإذا كان الأمر على هذا النحو فإن كلام الإنسان يعد صورة من مكنون نفسه، وتزداد هذه الفرضية قوة إذا التزم المتكلم طريقة معينة في كلامه؛ ففي هذا الالتزام دلالة واضحة على سمة نفسية تفرض حضورها على ما ينطق به المتكلم بوعي أو بغير وعي منه؛ والأغلب أن يأتي الترتيب في الألفاظ تلقائيا؛ فالمنشئ " إذا ما فرغ من ترتيب المعاني في نفسه وجد الألفاظ مرتبة على حذوها في نطقه، ولم يحتج إلى أن تستأنف فكرًا في ترتيبها.[3] "

ويلاحظ القارئ لسورة يوسف في آيات حوار إخوته أنهم يلتزمون التوكيد في كل كلامهم بصورة تثير الدهشة وتستلفت الانتباه، وخاصة أن التوكيد نوع من الإيجاز وحين يتكرر على هذا النحو فلا بد أن يكون له دلالة ما؛ وهذا ما دفعني إلى استقراء هذه الآيات؛ لدراستها ومحاولة الوقوف على دلالة تكرار التوكيد في حوار إخوة يوسف؛ فقمت بحصر الآيات الكريمة المتضمِّنة لحوار إخوة يوسف، وتأملتها تأملا غايته الوصول إلى كشف ما تعبر عنه من مشاعر الإخوة وأفكارهم، واتخذت من التأمل الهادئ منطلقًا للتحليل.

وقد بنيت هذا البحث على مبحثين: الأول تناولت فيه مفهوم التوكيد وطرقه ودواعيه، ثم بينت بعضا من سمات النص الحواري، بعد ذلك تناولت في المبحث الثاني تحليل الآيات المستهدفة لتحقيق الغاية سابقة الذكر.

---

(1) التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب – القاهرة، الطبعة الرابعة (د.ت)، ص 6.

(2) دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السيرافي والجرجاني، الجناجي، دار الطباعة المحمدية القاهرة – مصر، ط1، 1411 هـ - 1991م. ص 123.

(3) النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، الجناجي، دار الطباعة المحمدية – القاهرة، الطبعة الأولى 1403 هـ - 1983 م.

مشكلة الدراسة:

مقامات الكلام في البلاغة العربية أمر له الاعتبار الأول؛ فما البلاغة إلا مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فلكل مقام ما يناسبه من القول، ويفي بأغراض المتكلم وتبليغ مراده وتمكينه من نفس السامع، وحين تلحظ سمة لغوية تتكرر في خطاب ما، فإن لهذا الأمر دلالته النفسية التي تقف وراء تكرار هذه السمة اللغوية، وهذا ما لاحظته في حوار إخوة يوسف؛ فكل كلامهم يرد مؤكَّدًا في جميع المقامات، من هنا انبثقت في ذهني مشكلة هذه الدراسة والتي يمكن صياغتها في السؤال التالي: ما دلالة تكرار التوكيد في حوار إخوة يوسف؟

فرضيات الدراسة:

تفترض الدراسة أن ثمة عاملا نفسيا يقف وراء تكرار توكيد الكلام في حوار إخوة يوسف، وهذا العامل الكامن في عقلهم الباطن جعلهم يغفلون القاعدة البلاغية أن لكل مقام مقاله؛ فجاء التوكيد ملازما لكلامهم بفعل هذا العامل النفسي الخفي المبهم.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها واحدة من الدراسات التي تتخذ من النص مدخلا للكشف عن الدوافع النفسية وراء الكلام، ورغم أن هذا الاتجاه قديم إلا أنه لم يأخذ الاهتمام الكافي من الباحثين؛ فمنذ البحث الذي نشره أمين الخولي في مجلة الآداب عام 1939م حتى اليوم لا تجد إلا بحوثا قليلة تهتم بدراسة العلاقة بين البلاغة وعلم النفس؛ لذلك تعد هذه الدراسة خطوة على هذا الدرب الذي قل طروقه.

الدراسات السابقة:

اطلعت على عدد من الدراسات السابقة التي كانت مادتها الدراسية سورة يوسف، وقد وجدت أن سورة يوسف من أكثر السور التي لاقت اهتمام الدارسين، غير أني اخترت من هذه الدراسات أقربها اتجاها من الزاوية التي أعالج من خلالها بحثي، وفيما يلي استعراض لهذه الدراسات من حيث أهدافها ونتائجها:

أولا: دراسة: (أدب الخطاب في سورة يوسف في ضوء لسانيات النص)

وهي رسالة ماجستير تقدمت بها الطالبة/ هاجر أحمد رشيد المومني إلى كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، عام 2011م – 1432 هـ.

جاءت الدراسة في ثلاثة فصول: الأول: الخطاب ولسانيات النص وأدب الخطاب، والثاني: دوافع الخطاب ومظاهره اللسانية، والثالث: استراتيجيات الخطاب، وقد حددت الباحثة هدف دراستها في الوقوف على أدب الخطاب في سورة يوسف في ضوء لسانيات النص، ومن النتائج التي توصلت إليها الباحثة:

- الدوافع النفسية هي المحرك الأساسي للسلوك الإنساني، وهي مؤثرة في الملفوظ لدى المرسل.
- لأدب الخطاب دور كبير في توطيد العلاقات الاجتماعية، وللعلاقات الاجتماعية دور في تحديد نمط الخطاب.
- كان لغرض الإقناع الدور الأكبر في تحديد الأنساق اللغوية في السورة.

ثانيا: دراسة: (أساليب الإقناع في سورة يوسف دراسة لسانية تداولية)

وهي رسالة ماجستير تقدم بها الطالب/ محمد مزاوغي إلى كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، عام 2012م – 1433 هـ.

جاءت الدراسة في أربعة فصول: الأول: علم الاتصال دراسة في الأسس والمفاهيم، والثاني: الإقناع استراتيجياته وأساليبه، والثالث: البلاغة وأساليبها الإقناعية في سورة يوسف، والرابع: الاستدلال والمحاججة في سورة يوسف، وقد حدد الباحث هدف دراسته في تحديد أساليب الحجاج والإقناع في سورة يوسف، والكشف عن مواطن الجمال فيها، ومن الغريب أن الباحث لم يختم دراسته بتسجيل ما توصل إليه من نتائج، وإنما اكتفى بخاتمة إنشائية تضمنت بعض التوصيات من أهمها:

- إقامة ندوات ومؤتمرات حول استراتيجيات الإقناع وأساليبه في القرآن الكريم.
- اعتماد أساليب واستراتيجيات الإقناع في القرآن الكريم في المناهج المدرسية.
- تنظيم ندوات لنشر الوعي بجمالية البناء القصصي في القرآن الكريم.

ثالثا: دراسة: (أسلوب التوكيد في سورة يوسف دراسة نحوية)

بحث نشره الباحث/ رائد عماد أحمد في مجلة آداب الرافدين – العدد 53، 1430 هـ – 2009م، وقد تضمن البحث مبحثين: الأول: خصصه الباحث للمعالجة البلاغية والنحوية لأسلوب التوكيد، والثاني: وهو المعالجة التطبيقية للتوكيد في سورة يوسف، ثم ختم البحث بخاتمة سجل فيها أهم ما توصل إليه من نتائج، ومنها:

- كشف التوكيد عن الطبائع النفسية وعن الأهواء التي تحرك شخصية قصة يوسف.
- أظهر التوكيد خبايا النفس ومكنوناتها للشخصيات في قصة يوسف.

رابعا: دراسة: (سورة يوسف دراسة بلاغية)

وهي رسالة ماجستير تقدم بها الطالب/ حابس شحادة القعايدة إلى عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، عام 2005م.

وقد حدد الباحث هدف دراسته في بيان جمال النص القرآني، والروابط التي تربط بين أجزائه دون النظر إلى الأجزاء.

وجاءت الدراسة في أربعة فصول: الأول: الإيقاع في مستوى الأصوات، والثاني: المستوى الصرفي، والثالث: المستوى التركيبي، والرابع: المستوى البياني، وفي نهاية الدراسة قدم الباحث ما توصل إليه من نتائج؛ منها:

- مثّل تكرار بعض الأصوات المعينة تصويرا للحالة الوجدانية التي تعبر عنها الآيات.
- تناسبت المقاطع طولا وقصرا في سورة يوسف مع الدلالة المراد بيانها في الآيات.
- جاءت الأبنية الصرفية في السورة متلائمة مع الأغراض الدلالية.

خامسا: دراسة: (وظيفية أسلوب التوكيد في القرآن الكريم)

وهي رسالة دكتوراه تقدمت بها الطالبة/ عائشة عبيزة إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحج لخضر بباتنة – الجزائر، عام 2009م.

جاءت الدراسة مكونة من مدخل وبابين؛ كل باب يتضمن ثلاثة فصول: عالجت في المدخل قضيتين منهجيتين: الأولى التبويب النحوي وأثره في دراسة التوكيد، والثانية المنهج الوظيفي والدرس النحوي، أما الباب الأول: أسلوب التوكيد بين القدماء والمحدثين، وتحته ثلاثة فصول: الأول: التوكيد في اللغة العربية وارتباطه بمناسبات القول ومقتضياته، والفصل الثاني: أسلوب التوكيد في الدراسات القديمة، والفصل الثالث من الباب الأول: أسلوب التوكيد في الدراسات الحديثة، وجاء الباب الثاني بعنوان: أسلوب التوكيد أشكاله ودلالاته، وتحته ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مبدأ الفائدة في أسلوب التوكيد، والفصل الثاني: من أنماط التوكيد في القرآن الكريم، والفصل الأخير في الدراسة: بعض معاني التوكيد في القرآن الكريم من خلال أشكال توكيدية أخرى.

وجاءت الخاتمة بنتائج الدراسة، والتي منها:

- منهج الدراسة اللغوية يؤثر في نتائجها، وقد تجلى ذلك خصوصا في المنهج الشكلي الذي يحرص عليه النحو العربي.
- التوكيد من أكثر الأساليب استعمالا في اللغة العربية.
- علاقة طرفي الحوار هي الباعث الأول على إنشاء أسلوب التوكيد في الكلام، وكذلك السياق.

2- منهجية الدراسة وحدودها.

أ- **منهجية التحليل:**

تعتمد هذه الدراسة على منهج يجمع ما بين الاستقراء والوصف والتحليل؛ حيث قمت باستقراء عينة الدراسة لاستخراج المادة المستهدف دراسة دلالة التأكيد فيها؛ وهي آيات حوار إخوة يوسف عليه السلام، وعقب انتهاء عملية الاستقراء، تم تصنيف الآيات حسب أدوات التوكيد الواردة فيها، ثم وصف الدلالة العامة للآيات؛ تمهيدا لتحليلها وكشف مقصد التوكيد فيها.

ب- **حدود الدراسة:** آيات حوار إخوة يوسف؛ وهي ست عشرة آية من سورة يوسف؛ أي بما يعادل 14% من عدد آيات السورة الكريمة.

هيكلة الدراسة:

- المبحث الأول ويشمل مطلبين:
  - المطلب الأول: التوكيد (أدواته ودواعيه ودلالاته).
  - المطلب الثاني: سمات النص الحواري.
- المبحث الثاني: دلالة التوكيد في حوار إخوة يوسف

المبحث الأول: التوكيد وسمات النص الحواري

أولا: التوكيد (أدواته ودواعيه ودلالاته).

التوكيد شائع في كلام العرب مستعمل في لغتهم كما يقول أبو البركات الأنباري[4]، وهو حالة من حالات الخبر يستدعيه موقف المخاطَب من كلام المتحدِّث؛ حيث يكون المتلقي في حالة من التردد أو الإنكار للخطاب؛ إما بسبب محتوى الخطاب أو بسبب قائله؛ أي أنه وسيلة لتمكين الخبر من نفس المستمع ودفع تردده أو إنكاره، هذا ما درجت كتب النحو والبلاغة على تقريره؛ يقول القزويني: " فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر، والتردد فيه استغنى عن مؤكدات الحكم كقولك: جاء زيد؛ فيتمكن في ذهنه؛ لمصادفته إياه خاليًا، وإن كان متصورًا لطرفية مترددًا في إسناد أحدهما إلى الآخر، طالبًا له، حسن تقويته بمؤكد؛ كقولك: لزيد عارف، وإن كان

---

(4) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى 1424هـ- 2003م، 211/1.

حاكمًا بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار، فتقول: إني صادق، لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره، وإني لصادق لمن يبالغ في إنكاره.[5]"

ولكني أرى الأمر من وجه آخر؛ فقد يكون داعي المتكلم لتوكيد كلامه ليست الحال الذهنية للسامع أو مضمون الرسالة، بل قد يكون الداعي لذلك الحالَ النفسية للمتكلم نفسه؛ كأن يكون مثلا يشعر بأنه موضع اتهام وشبهة دائما؛ فهذا يجعله – من دون أن يشعر– يؤكّد كلامه في كل مقام بصرف النظر عن الحاجة إلى التوكيد من عدمها.

وقد تعددت أدوات التوكيد وطرقه في العربية، ولكل حال ما يلائمها من هذه الأدوات؛ لذلك " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكل على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.[(6)]"

وفيما يلي نستعرض مفهوم التوكيد في العربية لغة واصطلاحا، حيث يمكننا من خلال تحديد المفهوم استخلاص دواعي التوكيد ودلالاته.

مفهوم التوكيد:

التوكيد لغة:

تدور الدلالات الوضعية لمادة (وكد) حول التوثيق والتمكين والإحكام؛ جاء في لسان العرب: " وَكَدَ: وَكَّدَ العَقْدَ والعَهْدَ: أَوثَقَه، وَالْهَمْزُ فِيهِ لُغَةٌ. يُقَالُ: أَوْكَدْتُه وأَكَّدْتُه وآكَدْتُه إِيكاداً، وَبِالْوَاوِ أَفصح، أَي شَدَدْتُه، وتَوَكَّدَ الأَمر وتأَكَّدَ بِمَعْنًى. وَيُقَالُ: وَكَّدْتُ اليَمِينَ، والهمْزُ فِي العَقْد أَجْوَدُ، وَتَقُولُ: إِذا عَقَدْتَ فأَكِّدْ، وإِذا حَلَفْتَ فَوَكِّدْ. وَقَالَ أَبو الْعَبَّاسِ: التوكيدُ دَخَلَ فِي الْكَلَامِ لإِخراج الشَّكّ.[(7)] "

وقال الصاغانيّ: " التوكيدُ دَخَل فِي الكَلاَمِ على وَجْهَيْنِ: تَكْرير صرِيح، وغَيْر صَرِيحٍ؛ فالصَّرِيحُ نَحْو قولِكَ: رأَيْت زَيْدًا زَيْدًا، وَغير الصَّرِيح نَحْو قَولك: فَعَلَ زَيْدٌ نَفْسُه وعَيْنُه، والقَوْمُ أَنْفُسُهم وأَعيَانُهم، والرّجُلانِ كِلاهُما، والمرأَتانِ كِلْتَاهما، والقوْمُ كُلُّهم، والرّجالُ أَجْمَعُونَ، والنِّسَاءُ جُمَعُ، وجَدْوى التوْكِيدِ أَنك إِذا كَرّرْتَ فقد قَرَّرْت المُؤَكَّد ومَا عَلِقَ بِهِ فِي نَفْسِ السامِعِ ومَكَّنْتَه فِي قَلْبِه، وأَمَطْتَ شُبْهَةً رُبَّمَا خَالَجتْه، أَو تَوَهَّمْتَ غَفْلَةً وذَهَاباً عَمَّا أَنتَ بِصَدِدِه فأَزَلْتَه.[8]"

إذن فدلالة التوكيد في اللغة هي التمكين والتوثيق في الأمور المادية والمعنوية على السواء، وتمكين الشيء في الماديات يكون لضمان ثباته في موضعه، أما التمكين في المعنويات فغايته بلوغ المعنى إلى النفس ورسوخه فيها.

---

(5) الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثالثة، (د. ت) 70/1.

(6) البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423 هـ، 131/1.

(7) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة - 1414 هـ، 466/3.

(8) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)

تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. ت) 321/9.

واتضح أيضا من الدلالة المعجمية أن الداعي للتوكيد في الكلام هو إخراج الشك والتردد من نفس السامع، أو إماطة الشبهة التي تخالجه، أو إزالة التوهم من ذهنه، هذه هي الدواعي التي تدفع المتكلم إلى إدخال التوكيد في كلامه.

أما طرق التوكيد فهي التكرار ويسمونه التوكيد الصريح، أو الإتيان بألفاظ مخصوصة للتوكيد، وهذا ما يسمونه بالتوكيد غير الصريح، بالإضافة إلى التوكيد بالأدوات وغير ذلك من طرق التوكيد كالتوكيد بالصفة، والتوكيد بالقيم، والتوكيد بالقصر، والتوكيد بالتقديم، والتوكيد بالأدوات التي لم تنل عناية النحاة بصورة كافية•.

ونحن معنيون في هذا البحث بطرق التوكيد التي لم تلق كبير عناية من النحاة، وخاصة التوكيد بالأدوات؛ وذلك لأن مادة دراسة هذا البحث أغلب التوكيد فيها بالأدوات.

نخلص مما سبق إلى أن التوكيد غرضه تمكين المعنى، وأن له طرقا عدة، أشهرها في الدرس النحوي طريقتان؛ قال ابن جني: " العرب إذا أرادت المعنى مكَّنته واحتاطت له؛ وأن من ذلك الاحتياط: التوكيد، وأنه على ضربين: أحدهما: تكرير الأول بلفظه؛ نحو: قام زيد قام زيد، والثاني: تكرير الأول بمعناه؛ وأنه على ضربين: أحدهما للإحاطة والعموم والآخر: للتثبيت والتمكين؛ فالأول: كقولنا: قام القوم كلهم، والثاني نحو قولك: قام زيد نفسه، ثم قال: وقد يؤكد بالصفة، كما تؤكد هي؛ نحو قولهم: أمس الدابر.[9]"

التوكيد اصطلاحا:

يقوم التعريف الاصطلاحي للتوكيد على اعتبار الحالة الذهنية للمتلقي؛ فإذا كان في حالة تردد أو إنكار لما يقال له، وجب توكيد القول، ومعرفة هذه الحالة ترجع للسياق ولتقدير المتكلم؛ قال العلوي: " التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده ... ويقال له التكرير أيضا.[10]"

إذن فالداعي لتوكيد الكلام هو تمكين الفكرة من نفس المتلقي وتقويتها عنده؛ حتى يتأكد منها ولا يشك فيها، ومن أغراضه أيضا: "أن يدفع المتكلم ضرر غفلة السامع أو عدم الإصغاء، وأن يدفع عن السامع ظنه بالمتكلم الغلط، وأن يدفع المتكلم ظن التجوز.[11]" وغير ذلك من الأغراض التي يستدعيها المقام.

أما أدوات توكيد الخبر فهي قسمان: قسم يختص بالأسماء، وقسم يختص بالأفعال " مثل: إن وأنّ، ولكن، ولام الابتداء في الأسماء، وقد، واللام، ونوني التوكيد في الأفعال.[12]" ويضاف إلى ذلك التوكيد بالأساليب كأسلوب القسم.

• يرى الدكتور مهدي المخزوم أن النحاة لم يعرضوا لطرق التوكيد المختلفة غير تكرار اللفظ أو استعمال ألفاظ التوكيد؛ لأنها " لا تحقق لهم هدفًا، ولا تظهر لهم براعة، وليس لها صلة بالعامل الذي كان له نفوذ لا يقاوم على أساليب تفكيرهم." يُنظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي – بيروت، الطبعة الثانية، 1986م، ص 235.

(9) خصائص النظم في (خصائص العربية) لأبي الفتح عثمان بن جني، المؤلف: حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجي (المتوفى: 1429هـ)، دار الطباعة المحمدية القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1407 هـ - 1987 م، ص 184.

(10) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: 745هـ)، المكتبة العنصرية – بيروت، الطبعة الأولى، 1423 هـ، 94/2.

(11) معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 252/4 – 253.

(12) الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (المتوفى: 1417هـ)، دار الفكر - بيروت – لبنان، طبعة: 1424هـ - 2003م، ص 46.

وعد أحد الباحثين البلاغيين المعاصرين التوكيد بالأدوات لونا مستقلا بذاته؛ يقول: "ومن ألوان التوكيد أن يكون في الجملة أداة من أدوات التوكيد، وهى إن، وأن، ولام الابتداء، والقسم، وألا الاستفتاحية، وهاء التنبيه، وكأن في تأكيد التشبيه، وضمير الشأن، وضمير الفصل، وقد، والسين، وسوف، والنونان في تأكيد الفعل، ودخول الأحرف الزائدة في الجملة، وتؤكد الجملة بذلك لتثبيت معناها وتوطيده في النفس، وكلما كان هذا المعنى مجالا للشك أو الإنكار، كان موضع التوكيد أنسب وأقوى.[13]"

ثانيا: النص الحواري:

الحوار هو الصورة اللغوية للقصة؛ إذ لا يمكن أن نتصور القصة بلا حوار، فهو " من أهم أساليب القص مثل الوصف والسرد بحصر المعنى؛ وهو من أشد أنماط الأقوال المنقولة محاكاة لما يُفترض أن الشخصيات القصصية نطقت به، كما أنه ينهض بوظائف متعددة؛ كالإيهام بالواقع، والوصف، والإخبار، ورسم ملامح الشخصيات .[(14)]"

والقرآن الكريم حافل بالحوارات التي تعددت أغراضها من بين الاستيضاح، والحجاج، والدعوة، والبيان، إلى غير ذلك من أغراض، والحوار عند إخوة يوسف انحصر غرضه في الإقناع؛ لأجل ذلك فقد اعتمد اعتمادا كليا على التوكيد المكثف في كثير من المواضع؛ وذلك من أجل " التأثير في السامع حتى يعتنق ما يريد المتكلم من أحكام، وحتى يتصرف على نحو يتوافق مع مراد المتكلم؛ ليحقق المتكلم من ذلك السيطرة على سلوك متلقي الخطاب.[15]"

إذن، فالحوار يهدف إلى التأثير النفسي؛ بغرض التحكم في السلوك، ويمكننا من خلال الحوار أن نتبين السمات النفسية والذهنية للمتحدث، وأن نقف على جوهر طبعه وصفاته بصورة عامة، ومن أبرز النصوص التي يمكن من خلالها استجلاء هذه الأمور آيات حوار إخوة يوسف؛ إذ يتجلى فيها بوضوح ما يخبر القارئ عن أي نوع من الناس هؤلاء الإخوة؟.

المبحث الثاني: دلالة التوكيد في حوار إخوة يوسف

قبل البدء في بيان دلالة التوكيد في الآيات الكريمة يحسن بنا أن نقدم وصفا وتحليلا لعينة الدراسة؛ لنجعل من ذلك خطوة أولى في سبيل بيان الدلالة المقصودة:

وصف أدوات التوكيد الواردة في عينة الدراسة:

الآيات التي تضمنت حوار إخوة يوسف ست عشرة آية، وأُسْتُخدمَ فيها من أدوات القسم ثلاثة أدوات: إن – اللام – الباء الزائدة، أما ما ورد فيها من أساليب التوكيد فهو أسلوب واحد فسحب؛ وهو أسلوب القسم، أضف إلى ذلك اسمية الجملة التي تعتبر بحد ذاتها وسيلة توكيد، وفيما يلي تحليل للتوكيد في عينة الدراسة.

أولا: التوكيد بـ (إن، واللام):

هذا نوع من التوكيد المزدوج؛ فـ (إن) لتوكيد مضمون الخبر، فإذا جاءت معها اللام "ازداد معنى التأكيد، وكأنه بمنزلة تكرار الجملة ثلاث مرات. وهذا الإيجاز أو الاقتصاد في ألفاظ الجملة مع حصول الغرض من التوكيد هو

(13) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: 1384هـ)، نهضة مصر – القاهرة، 2005م، ص 115.

(14) معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر – تونس، الطبعة الأولى، 2010م، ص 158 – 159.

(15) من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، د. معتصم بابكر مصطفى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الدوحة، الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م، ص 33.

الذي يعطي مثل هذه الجملة قيمتها البلاغية، على أساس أن البلاغة هي الإيجاز.[16]" وزيادة التوكيد تعود – كما سبق ذكره – إلى قوة إنكار المستمع، أو إلى شدة تأكد المتكلم مما يقول. وقد ورد هذا النوع من التوكيد المزدوج ثماني مرات في عينة الدراسة، وهو من أعلى التوكيدات استعمالا، يقول الله تعالى:

1- ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الآية: 8)

التوكيد في هذه الآية ورد بصورة مكثفة ملفتة: (لام الابتداء – إن – اللام المزحلقة) رغم أن السياق لا يقتضي ذلك؛ فليس منهم أحد متردد أو منكر لهذه الأوهام التي زينوها لبعضهم، وهذا يدفعنا إلى الاستفسار عن الداعي إلى هذا التشديد في التوكيد على أمر كلهم به مقتنع ومسلِّم.

إنني أرى قوة حسدهم لأخيهم جعلتهم يؤكدون لبعضهم ما هو مؤكد ويزيدون في التأكيد، يقول أبو زهرة: " الحسد أوهمهم أنَّ أباهم يؤثر يوسف وأخاه بمحبته.[17]" فجاء توكيدهم معبرا عن قوة تمكُّن الحسد من قلوبهم، وجاء أيضا هذا التوكيد الزائد كتوطئة لما بيّتوا وصمموا وأسروه في صدورهم من تدبير للتخلص من يوسف؛ مما يعني أن التوكيد هنا قد خرج عما حدده البلاغيون من أن التوكيد يأتي لإقناع المتردد أو المنكر، وهذا ما سبق ذكره من أن مجيء التوكيد يكون أحيانا سببه الحالة النفسية للمتكلم، وليس الحالة الذهنية للسامع.

2- ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ (الآية: 11)

نلاحظ في حوار إخوة يوسف مع أبيهم في هذه الآية أنهم يمارسون عليه بعض الألاعيب النفسية؛ فابتداؤهم الحوار بـ (يا أبانا) وسؤالهم الاستنكاري له يحمل عتابا واستعطافا يشعره بالذنب لعدم ثقته بهم؛ ليجعلوا من هذا الإحساس مدخلا لطلبهم في الآية القادمة، وقد جاء التوكيد هنا لتعزيز ثقة أبيهم بهم؛ حتى يسمح لهم باصطحاب يوسف معهم.

ونلاحظ أن التوكيد هنا داعيه معرفة الإخوة أن أباهم يتشكك في مدى حرصهم على سلامة يوسف؛ لذلك فهم أكدوا الكلام بـ (إن) وبالتقديم؛ والتقديم غايته في هذا الموضع "الْقَصْرِ الِادِّعَائِيِّ؛ جَعَلُوا أَنْفُسَهُمْ لِفَرْطِ عِنَايَتِهِمْ بِهِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَا يَحْفَظُ غَيْرَهُ وَلَا يَنْصَحُ غَيْرَه.[18]"

إذن التوكيد بالحرف وتغير الرتبة غرضه إقناع أبيهم بصدق ادعائهم؛ حتى يحققوا غرضهم الآثم في التخلص من يوسف عليه السلام، والتوكيد المضعف هنا أيضا سببه علمهم بمدى تعلق يعقوب بيوسف وخوفه عليه؛ وهذا الخوف هو العائق أمامهم؛ ذللوه بالتوكيد المشدد بأربعة طرق: "بِالْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ الْمُصَدَّرَةِ بِـ (إِنَّ)، وَتَقْدِيمِ (لَهُ) عَلَى خَبَرِهَا وَاقْتِرَانِهِ بِاللَّامِ، وَلَوْلَا شُعُورُهُمْ بِارْتِيَابِهِ فِيهِمْ لَمَا احْتَاجُوا إِلَى كُلِّ هَذَا التَّأْكِيد.[19]"

3- ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الآية: 12)

التوكيد في هذه الآية أيضا أغراضه هي الأغراض نفسها في الآية السابقة، وطرقه هي الطرق نفسها، لكنهم في هذه الآية قدموا بعض الإغراءات لأبيهم؛ فهم يعلمون أن حبه ليوسف يدفعه لعمل ما يسعده ويسره؛ لذلك فإن

---

(16) علم المعاني، عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396 هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م، ص 55.

(17) المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، دار الفكر العربي، (د.ت) ص379.

(18) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م، 229/12.

(19) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م، 218/12.

تعبيرهم " يرسم بكلماته وعباراته كل ما بذلوه ليتدسسوا به إلى قلب الوالد المتعلق بولده الصغير الحبيب الذي يتوسم فيه أن يكون الوارث لبركات أبيه إبراهيم.[20]" فقد تعهدوا بالنصح له والحفاظ عليه، ثم وعدوا أباهم أنه لن يكون في حفظهم فحسب، بل إنهم سيعملون على إسعاده ومسرته؛ واستجابة أبيهم لهم أكبر شاهد على مدى تأثير هذه الحيل اللفظية والادعاءات العاطفية فيه؛ مما يعني أن التوكيد قد حقق غايته التي جيء به لأجلها.

4- ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ (الآية: 14)

القسم أحد أساليب التوكيد القوية التي تدل على مدى ثقة المتكلم بما يقول، وإنشاء القسم غايته نقل الثقة من نفس منشئ الخطاب إلى نفس مستقبله، وفي هذه الآية يريد الإخوة تبديد مخاوف أبيهم على سلامة يوسف، فاستخدموا التوكيد بالقسم في أول الآية، ثم جاءوا بالجملة الاسمية الحالية (نحن عصبة) وأتبعوا ذلك بجواب القسم المؤكد بـ (إن) واللام؛ ليبددوا بهذه السلسلة التوكيدية كل حرص من أبيهم على أخيهم، وليضمنوا استسلامه ورضوخه لهم، وبهذا الحوار التوكيدي يكونون قد "أَجَابُوهُ عَمَّا يَخَافُهُ بِمَا يَرْجُونَ أَنْ يُطَمْئِنَهُ، وَأَمَّا حُزْنُهُ فَلَا جَوَابَ عَنْهُ لِأَنَّهُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَيْسَ فِي اسْتِطَاعَتِهِمْ مَنْعُهُ؛ إِذْ هُوَ لَازِمٌ لِفِرَاقِهِ لَهُ وَلَوْ فِرَاقًا قَلِيلًا فِيهِ مَنْفَعَةٌ لِيُوسُفَ فِي صِحَّتِهِ، بِتَرْوِيضِ جِسْمِهِ فِي ضُحَى الشَّمْسِ وَهُبُوبِ الرِّيَاحِ وَحَرَكَةِ الْأَعْضَاءِ فِي زَمَنٍ قَصِيرٍ، يَعُودُ بَعْدَهُ فَيَزُولُ حُزْنُهُ وَيَكُونُ سُرُورُهُ مُضَاعَفًا لَوْ صَدَقُوا.[21]"

5- ﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ (الآية: 61)

تعتبر هذه الآية بداية الانتقال إلى الجزء الثاني من قصة الإخوة مع يوسف؛ فالسياق هناك تفاوض مع العزيز الذي يُفترض أنه خالي الذهن لا يعرف من مكر الإخوة وتآمرهم وكذبهم ما يدفعهم إلى توكيد الكلام له، لكن شعورهم الملازم لهم بأنهم محل شبهة يجعلهم لا شعوريا يؤكدون له وعدهم بأنهم سيبذلون قصارى جهدهم من أجل الإتيان بأخيهم، و"جملة (وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ) عَطْفٌ عَلَى الْوَعْدِ بِتَحْقِيقِ الْمَوْعُودِ بِهِ، وهُوَ فِعْلُ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَأَكَّدُوا ذَلِكَ بِالْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ وحرف التَّأْكِيد.[22]" ونلحظ أن حرف (السين) هنا ليس لمحض إخلاص الفعل للمستقبل، وإنما لها دلالة توكيدية أيضا؛ فهذه الأداة " تؤكد الوعد، كما تؤكد الوعيد، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت معناه.[23]" ونلحظ هنا أنهم استعملوا ثلاثة مؤكدات – بالإضافة إلى الجملة الاسمية – في سياق كان يكفي فيه أن يقدموا وعدا مجردا لا تأكيد فيه؛ لأنهم أصحاب حاجة وتلبية هذه الحاجة مشروطة بإحضار أخيهم، فلا مجال لأن يشك العزيز في نكوصهم، لكن هاجسهم الدائم بأهم متهمون جعلهم يبالغون – كعادتهم – في التوكيد.

6- ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾ (الآية: 63)

ورد هذا التركيب التوكيدي في الآية رقم (12) السابق تحليلها أعلاه، لكن السياق هنا مختلف؛ فالتوكيد في الآية السابقة كان لأجل إقناع يعقوب بترك يوسف لإخوته؛ لكي يمضوا ما بيتوه، فهو توكيد في سياق الخداع والتحايل، أما التوكيد والترغيب هنا فليس باعثه التحايل ولا الكذب، وإنما هم صادقون في تعهدهم هذه المرة، لكن أباهم الذي اكتوى بنيران كذبهم قد تذكر وعدهم السابق بحفظ يوسف؛ فصارحهم بذلك قائلا إنه لا ينتظر منهم

---

(20) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة السابعة عشر، 1412هـ، 197/4.

(21) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 219/12.

(22) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 14/13.

(23) أساليب بلاغية: (الفصاحة - البلاغة – المعاني)، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة الأولى، 1980 م، ص 97. ويُنظر أيضا: علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص 56.

حفظا لابنه الثاني، وإنما الحافظ الله وهو خير الحافظين؛ أي أن التوكيد هنا لم يؤدي غايته في الإقناع - رغم صدقهم – فموافقة الأب ليست لاطمئنانه إلى وعد الإخوة، وإنما موافقته هي تسليم لله وطمع في حفظه ورحمته.

7- ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (الآية: 82)

الدليل الاجتماعي معناه أن يستدل المتكلم على صدق كلامه بآراء غيره من الناس، وهذا ما فعله الإخوة في صدر هذه الآية؛ فهم قبل أن يؤكدوا صدقهم طلبوا من أبيهم أن يستدل على ذلك بسؤال أهل القرية التي كانوا فيها؛ أي: مصر ومرافقيهم في الرحلة؛ وهم بهذا الطلب- قبل توكيد صدقهم- يقرون بأن قولهم المؤكد ليس محلا للثقة والتصديق، أما باعث التوكيد في غير ذلك فهو الخبر الذي نقلوه لأبيهم عن سرقة أخيهم المزعومة لمتاع الملك؛ فهذا الخبر لا يمكن أن يصدقه أب يعلم تمام العلم أخلاق ولده؛ لذلك كان رده تكذيبا صريحا لهم، واتهاما لهم بأنهم قد سولت لهم أنفسهم أمرا سيئا، وهكذا نجد فاعلية توكيد الإخوة لكلامهم عند حديثهم إلى أبيهم بدأت تضعف رويدا رويدا إلى أن صارت معدومة تماما.

8- ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ (الآية: 90)

التوكيد في هذا التركيب غريب؛ ويعبر في الوقت نفسه عن حالة اضطراب إخوة يوسف؛ فبالرغم من أنهم يستفهمون إلا أنهم يستعملون التوكيد لأمر هم مترددون في الجزم به؛ والتوكيد في مقام الاستفهام هو محل الغرابة؛ فالمعلوم أن المستفهم ضد المؤكِّد؛ لأن المستفهم متكلم خالي الذهن يطلب ما لا يعرفه، بينما المؤكِّد متكلم لديه معرفة بما يؤكده؛ فالتوكيد في هذه الآية جاء معبرا عن الحقيقة التي أسفرت عن نفسها لإخوة يوسف؛ فأصابتهم بالدهشة التي جعلتهم يؤكدون استفهامهم، وقد قرأ بعض القراء هذه الآية بغير استفهام؛ قال ابن عاشور: " وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: (إِنَّكَ) بِغَيْرِ اسْتِفْهَامٍ عَلَى الْخَبَرِيَّةِ، وَالْمُرَادُ لَازِمُ فَائِدَةِ الْخَبَرِ، أَيْ عَرَفْنَاكَ، أَلَا تَرَى أَنَّ جَوَابَهُ بِـ (أَنَا يُوسُفُ) مُجَرَّدٌ عَنِ التَّأْكِيدِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُتَحَقِّقِينَ ذَلِكَ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا تَأْيِيدُهُ لِذَلِكَ.[24]" وهنا نجد التوكيد أيضًا نابعًا من قناعة المتكلم، وليس متعلقًا بالحالة الذهنية للمستمع؛ أي كأن المتكلم يؤكد لنفسه الخبر، ويطلب من المستمع أن يدعم بجوابه هذا التأكيد.

ثانيا التوكيد: بأسلوب القسم●

أسلوب القسم من أساليب تقوية المعنى في النفس وإزالة الشك منها سواء في الحديث أو المتحدث؛ أي أنه إحدى طرق التوكيد، ولقد استعمل إخوة يوسف هذه الطريقة في التوكيد أربع مرات: مرتين مع أبيهم، ومرة ليوسف، ومرة لحاشية العزيز، وفيما يلي تحليل لهذه الاستعمالات جميعا. ورد التوكيد بالقسم أربع مرات فحسب في عينة الدراسة؛ وهي قول الله تعالى:

1- ﴿قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَما كُنَّا سارِقِينَ﴾ (الآية: 73)

تضمنت هذه الآية أربعة أنواع من التوكيد: القسم، واللام، وقد، ولام الجحود، وتكثيف التوكيد هنا له ما يبرره؛ فهم يدفعون عن أنفسهم تهمة جائزة على مثلهم؛ فهم أصحاب حاجة وعوز أتوا من الصحراء يطلبون صدقة العزيز، والمحتاج من المحتمل أن تدفعه الحاجة إلى السرقة كما دفعته إلى طلب الإحسان؛ مما يعني أن التوكيد في

---

(24) التحرير والتنوير، ابن عاشور، 49/13.

● قال الماتريدي عن تكرار القسم في كلام إخوة يوسف: " (تَاللَّهِ) قسم قد اعتادوه في فحوى كلامهم؛ على غير إرادة يمين بذلك؛ هكذا عادة العرب."، وأقول: أي أنه يرى أن قسمهم لازمة كلامية لا دلالة فيها على القسم، وهذا قد يكون صحيحا في غير القرآن الكريم. ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005 م، 283/6.

هذا الموضع دعا إليه شك حاشية العزيز أو ادعاؤهم الشك في إخوة يوسف وتوفر أسباب هذا الشك؛ فاضطر الإخوة إلى تشديد التوكيد بهذه الطرق المختلفة، ومن دواعي تأكيد القسم هنا- أيضا- الطريقة التي وجّهت بها التهمة إلى الإخوة: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ إن هذه التهمة المؤكدة قد أصابتهم بالرعب والارتياع؛ فأسرفوا في التوكيد ليثبتوا براءتهم، واستدلوا في دفاعهم بسابقة اتهام لهم تبيّن براءتهم منها؛ " فَهُمْ كَانُوا وَفَدَوْا عَلَى مِصْرَ مَرَّةً سَابِقَةً وَاتُّهِمُوا بِالْجَوْسَسَةِ فَتَبَيَّنَتْ بَرَاءَتُهُم.[25]"

2- ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (الآية: 91)

السياق في هذه الآية سياق إقرار بالخطأ واعتراف بالذنب؛ وعلى هذا فالتوكيد هنا لبيان أن المقسَم عليه ثابت راسخ في نفس المتكلم، غير أن التوكيد بالقسم هنا قد كشف عن دخيلة نفوس إخوة يوسف حتى في هذا المقام الذي ينبغي أن يكون إحساسهم بالذنب هو الغالب على كل إحساس؛ فهم لم يقسموا أولا على خطئهم، وإنما أقسموا على إيثار الله ليوسف عليهم، بالرغم من أن هذا لا يحتاج إلى قسم أو توكيد؛ لأنه واقع ماثل، إلا أن حقدهم الدفين يظهر على ألسنتهم رغما عنهم، انظر إلى مدى إصرارهم على مقارنة حالة يوسف بحالهم، وكأن توكيدهم للجزء الأول من الآية يوحي بندمهم على جريمتهم التي أوصلت يوسف إلى هذا المكان، وربما يكون اعترافهم بالخطأ هنا يحتمل أنهم قصدوا به الخطأ في التقدير؛ إذ أرادوا الخير لأنفسهم دون أخيهم فقدّر الله الخير لأخيهم دونهم؛ فالندم هنا – كما يظهر – ليس على جريمتهم في التفريق بين يوسف وأبيه وأخيه، وإنما الندم على أن أدّى مكرهم إلى ما صار إليه يوسف من ملك، وإلا لماذا أقسموا أولا على ما لا داعي لتوكيده؟.

ويؤكد زعمي- أيضا- الفارق في قوة التأكيد بين (إن) وبين (تالله)؛ فالقسم أقوى وأشد في التوكيد من (إن)؛ لذلك هم قد استعملوا الطريقة الأشد في توكيد أمر واضح لا شك فيه، واستعملوا الطريقة الأقل قوة في توكيد إحساسهم.

3- ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (الآية: 95)

يعبر هذا التوكيد بالقسم، و(إن)، واللام، والوصف عن مدى غضب إخوة يوسف من مجرد تذكُّر أبيهم لأخيهم يوسف، وقد دفعهم هذا الغضب إلى مجاوزة حدود الأدب في مخاطبة أبيهم؛ أي أن التوكيد هنا غرضه الإفصاح عن قوة سخطهم على أبيهم؛ لأنه لا يزال يذكر يوسف ويأمل في عودته، فأغلظوا له القول وشددوه بالتوكيدات؛ ردعًا له عن معاودة هذه الذكرى؛ وجعلهم حقدهم يقولون: " لوالدهم كلمةً غليظة، لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم، ولا لنبيّ الله.[26]"

إن شعورهم بالحقد نحو أخيهم جعلهم يعقون أباهم ويخطئونه وينكرون عليه.

من مثل هذه الآية نستنتج أن التوكيد قد يخرج عن أغراضه التي حددها البلاغيون؛ لإنشاء دلالات أخرى لم ينصوا عليها، وقد تكرر ذلك كثيرا في حوار إخوة يوسف؛ إذ إنهم اعتادوا التوكيد للتعبير عن مشاعرهم هم وما يعتقدونه دون نظر إلى حاجة المقام إلى ذلك التوكيد.

4- ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (الآية: 85)

يشبه سياق هذه الآية السياق في الآية السابقة، غير أن مستوى التوكيد هنا أقل منه فيما سبق، وكأن الأبناء قد فتر حماسهم في التعنيف المؤكد بعدما لم ينفع زجرهم لأبيهم، ونلاحظ أن التأكيد في الآية جاء بأسلوب

---

(25) السابق نفسه، 29/13.

(26) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 257/16.

القسم فحسب، لكنه اقترن بمزيد من التهديد بالمرض أو الموت إن هو ظل يذكر يوسف؛ إنهم يدعونه للكف عن تذكر يوسف مدعين أنهم يخافون أن يؤدي ذلك إلى مرضه أو موته، وقد قام التهديد هنا مقام التهديد في الإقناع كما يظنون هم.

إن إخوة يوسف مصرون على القضاء على ذكرى أخيهم بعد أن نجحوا في إبعاده عن أبيهم؛ وسلكوا لذلك كل سبيل ما بين تأكيد ادعاءاتهم إلى ممارسة الضغوط النفسية على أبيهم، لكن يقين يعقوب وثقته برؤية يوسف- التي قصها عليه من قبل- جعل كل ما يقوم به الإخوة غير ذي تأثير عليه.

ثالثا: التوكيد بـ (إن) وحدها:

ورد التوكيد بـ (إن) غير مقرونة بغيرها ثلاث مرات في عينة الدراسة؛ هي قوله تعالى:

1- ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الآية: 78)

مقام الكلام مع ذوي السلطة يتطلب عناية في اختيار الألفاظ وصياغة التراكيب، وفي هذه الآية نجد حشدا من التوكيدات ليس لإقناع العزيز بل لاستعطافه؛ فأول هذه المؤكدات هاء التنبيه، ثم (إن)، والتقديم (له) والوصف (كبيرا)، ثم التوكيد بـ (إن) مرة ثانية، لكن كل هذه التوكيدات الاستعطافية لم تؤدِ غايتها؛ فالعزيز قد أظهر لهم تورعًا عن أخذ إنسان بذنب غيره.

إذن غاية التوكيد هنا الاستعطاف؛ وهذا يبرر كثرة المؤكدات الواردة في الآية، ومع ذلك كما يقول القشيري: " لم تنفعهم كثرة التّنصّل، وما راموا به من ذكر أبيهم ابتغاء التوسّل، ولم ينفعهم ما قيل منهم حين عرضوا عليه أن يأخذ أحدهم.[27]"

2- ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (الآية: 88)

في هذه الآية كسابقتها يستعطف الإخوة عزيز مصر، لكن عدد المؤكدات هنا أقل؛ لأن سبب الاستعطاف ليس في قوة السبب السابق؛ فهم هنا قد ساءت حالهم؛ لقلة الزاد ورداءة ما معهم من بضاعة، لقد قدموا له هذا الوصف لحالهم بالرغم من أن هيئتهم تغني عن مقالهم استجلابا لعطفه عليهم، ثم شفعوا الوصف بطلب الوفاء في الكيل والتصدق عليهم، ثم ختموا الوصف والطلب بتوكيد حقيقة لا تحتاج إلى توكيد؛ وهي مجازاة الله للمتصدقين، واستجابة يوسف لهم لم تكن بسبب شيء من كل هذا، بل لأن قلبه رق لحالهم؛ يقول صاحب الظلال: " وعند ما بلغ الأمر بهم إلى هذا الحد من الاسترحام والضيق والانكسار، لم يتبقَ في نفس يوسف قدرة على المضي في تمثيل دور العزيز، والتخفي عنهم بحقيقة شخصيته، فإذا هو يترفق في الإفضاء بالحقيقة إليهم.[28]"

3- ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (الآية: 97)

هذا نهاية حوار إخوة يوسف مع أبيهم، ونلاحظ أن توكيدهم لإقرارهم بالخطأ جاء على غير المتوقع؛ فبعد ظهور أدلة ما اقترفوه، كان المنتظر أن يبدوا أسفا وندما على قدر عظم ذنبهم في حق أبيهم وأخيهم يوسف، إلا أننا نجد أنهم يطلبون الاستغفار من أبيهم، ويقرون- بما يشبه الفتور- أنهم كانوا خاطئين؛ ونستخلص من هذه الطريقة في الإقرار أن التوكيد في حوار إخوة يوسف يعلو وينخفض حسب حالتهم الوجدانية، وحسب قوة ما في صدورهم من مشاعر؛ فرأيناهم حين بيتوا الخلاص من يوسف أكثروا من التوكيدات لأبيهم، وحين نفوا التهمة عن أنفسهم أكثروا

---

(27) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة الثالثة (د.ت)، 197/2.

(28) في ظلال القرآن، سيد قطب، 2027/4.

التوكيدات أيضا، أما حين طلبوا الاستغفار فنجد أن التوكيد في كلامهم عند حده الأدنى؛ ويمكن ملاحظة زيادة التوكيد في كلامهم حين يكذبون أو يستعطفون، وقلته حين يصدقون؛ لذلك لم يجب أبوهم طلبهم في الحال، وإنما أرجأه لوقت غير معلوم في المستقبل البعيد.

رابعا: التوكيد بحرف الجر الزائد:

حرفا الجر: (الباء) و(من) يُزادان في الكلام لإفادة التوكيد، وقد ورد التوكيد بحرف الجر الزائد مرة واحدة في عينة الدراسة؛ هي قوله تعالى:

1- **﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (الآية: 17)**

الخبر الذي أراد الإخوة إبلاغه للأب مهّدوا له بجملة مؤكدة بـ (إن) وعطفوا عليه جملة بلا توكيد؛ ليجعلا من هاتين الجملتين مقدمة نتيجتها أن الذئب أكل يوسف، وكأنهما رأوا في عيني أبيهم عدم التصديق؛ فعقبوا على خبرهم بجملة مؤكدة بحرف الباء الزائد، ثم أردفوها بجملة حالية تأكيدا لصدق ما أخبروا به، وهكذا نجد حالة الاضطراب والتوتر التي يمر بها الإخوة تنعكس على كلامهم؛ فيطنبون طمعًا في إقناع أبيهم وخداعه، لأنهم يعرفون " أنَّ أباهم غَيْرُ مطمئن لمشاعرهم تُجاه أخيهم، إذْ هُو يعلمُ حسَدَهم له، فلو كانوا صادقين حقّاً وصَدَّقهم لما وصلَ تصديقه إلى درجةِ الإيمان الذي يُحْدِثُ في القلب الطَّمْأنينة.[29]"

خلاصة النتائج

لقد تتبعت آيات الحوار في سورة يوسف مستهدفا معرفة دلالة التوكيد في هذه الآيات، وبعد أن قمت بتحليل الآيات الكريمة تبيت لي ما يلي:

- ورد التوكيد في كل الآيات التي جاءت على لسان إخوة يوسف.
- أكثر المؤكدات التي استعملها إخوة يوسف (إن) واللام، ولم يستعملوا من أساليب التوكيد إلا أسلوبا واحدا هو القسم، وقد استعملوه أربع مرات.
- الحالة الوجدانية لإخوة يوسف كانت هي الباعث الأول لديهم لتوكيد كلامهم، وليس المقام ولا حالة المستمع.
- يختلف التوكيد في حوار إخوة يوسف قوة وضعفا حسب شعورهم؛ فهم يكثفون التوكيد إذا كذبوا، ويكون متوسطا إذا استعطفوا، ويكون ضعيفا إذا اعتذروا.
- يبدو لي أن التوكيد بالقسم لديهم ليس مجرد لازمة كلامية كما يرى بعض المفسرين، بل هو تعبير عن حالة وجدانية غالبا ما تكون الغضب وقليلا ما تكون الحقد.
- بدأ التوكيد في حوار إخوة يوسف مع أبيهم قويا مكثفا، وانتهى ضعيفا فاترا؛ مما يعني أنه مرآة تعكس تطور مشاعرهم حسب المراحل المختلفة من القصة.

---

(29) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1996 م، 501/2.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة - 1414 هـ
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، (د.ت) .
- إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب – القاهرة، الطبعة الرابعة (د.ت).
- الأفغاني، سعيد بن محمد بن أحمد، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر - بيروت – لبنان، طبعة: 1424هـ - 2003م.
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري أبو البركات كمال الدين، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى 1424هـ- 2003م.
- البدوي، أحمد أحمد عبد الله البيلي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر – القاهرة (د.ت) عام النشر: 2005
- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي أبو عثمان البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ
- الجناجي حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق، النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، دار الطباعة المحمدية – القاهرة، الطبعة الأولى 1403 هـ - 1983 م.
- الجناجي، خصائص النظم في (خصائص العربية) لأبي الفتح عثمان بن جني، دار الطباعة المحمدية القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1407 هـ - 1987م.
- الجناجي، دلائل الإعجاز بين أبي سعيد السيرافي والجرجاني، دار الطباعة المحمدية القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1991م.
- رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- الرفاعي، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي، أساليب بلاغية: (الفصاحة - البلاغة – المعاني)، وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة الأولى، 1980م.
- الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. ت).
- السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة الأولى، 1420هـ - 2000م.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
- عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009.
- العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية – بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ

- القاضي، محمد وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر – تونس، الطبعة الأولى، 2010م.
- القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثالثة، (د. ت).
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة الثالثة (د.ت).
- قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة السابعة عشر، 1412هـ.
- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005 م.
- المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي – بيروت، الطبعة الثانية، 1986م.
- مصطفى، معتصم بابكر، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الدوحة، الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م.
- الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1996 م.